بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات **تقديم الأستاذ:** عبد الرحيم عزاب

الأفواج: الأول و الثاني و الثالث سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس الرابع: الدراسة الصوتية لدى علماء العربية.

-عرض و تحليل- مقاربة تاريخية مفهومية.

تمهيد: إن الدراسة الصوتية هي الدراسة اللغوية الأولى التي يعنى بها اللغويون، وبها يعرف الدارس كثيرا من الظواهر اللغوية التي تدرّس في كتاب النحو، من إبدال و إعلال و إدغام، إلى غيرها من ظواهر لغوية لا تفهم فهما مستوعبا إلا إذا أخذت الدراسة الصوتية لها مكانا في دراسة العربية.[1]

1-نشأة الدراسات اللغوية و الصوتية عند العرب:

علم الأصوات هو علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة، و هو فرع من علم اللغة، يتميز عنها بجانبه المنطوق فقط، و الأصوات أصل طبيعة اللغة، و الكتابة لاحقة عليها، فهي رمز الصوت و تجسيد مادي له. و علم الأصوات قديما عند العرب واحد من العلوم التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة. " و قد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) أول من شرع منهاجا للناس في هذا العلم الذي كانت معطياته موزعة بين معارف لغوية عامة ووجوه قرآئية خاصة، مما يتعلق بقراءة القرآن الكريم و تحقيق لفظه و تجويد نطقه "[2].

1

2

لقد ازدهرت في تلك المرحلة الدارسات الصوتية على يد مجموعة من العلماء خصوصا أبي الأسود الدؤلي و الخليل بن أحمد الفراهيدي و نصر بن عاصم الليثي (ت 189 هـ)، و ابن جني (ت 392 هـ) في كتابيه: " سر صناعة الإعراب" و " الخصائص"، "و لعل أطرف ما في كتاب " سر صناعة الإعراب " وسائل الإيضاح التي قرب بها ابن جني جهاز النطق البشري، و طريقة النطق بالحروف إلى عقل القارئ، إذ شبه الفم و الحلق و الحنجرة و القصبة الهوائية جمعيا بمزمار الزامر و أوتار الضارب " [3].

"كما وصف أبو الأسود الدؤلي مخارج الحروف ووضع لكل حركة رمزا خاصا، و قد اتخذ لذلك كاتبا من بني عبد قيس، فكان يقول له: إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه.

و إن ضممت شفتي فانقط نقطة على يدي الحرف، و إن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين"[4].

و لقد استفاد العرب كثيرا من هذه الدراسات اللغوية الصوتية في قراءة القرآن و تجويده، و هذا ما أدى إلى ظهور " علم التجويد "، كما استفادوا منها في تصنيف المعاجم و ترتيب الكلمات بحسب مخارج الحروف[5].

2-الدرس الصوتي في الحضارة العربية الإسلامية:

لقد نال الدرس الصوتي في الحضارة العربية الإسلامية مكانة متميزة بين العلوم المختلفة، و قد برز كثير من الأعلام الذين أثروا الدراسة الصوتية بأبحاثهم و مؤلفاتهم، كالخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه و ابن جني و ابن سينا...

و قد توزع الدرس الصوتي عند العرب على عدد من العلوم كالنحو و الصرف و التجويد و البلاغة، حيث كان البحث الصوتي في خدمتها و أسهمت أيضا في إثرائه. و يرى بعض الباحثين أن للدرس الصوتي في الحضارة العربية الإسلامية مدارس أهمها:

3
4
5

مدرسة النحاة، و مدرسة المجودين ، و مدرسة الفلاسفة، و مدرسة البلاغيين[6].

و يعد الخليل بن أحمد أبرز رواد الدرس الصوتي عند العرب. فقد جعل الجانب الصوتي هو الأساس في تناوله للعلوم المختلفة التي أسهم فيها، كعلم العروض الذي يعد واضعه، حيث ميز بين أنواع البحور الشعرية بالوزن- و الوزن هو مظهر صوتي خالص – يتلخص في تناسب الحركات و السكنات بين التفعيلات و الأبيات[7].

لقد كان للخليل إسهامه المتميز في علم المعاجم المؤسس على الصوت بوضعه معجم " العين " الذي بناه على نظام التقليبات، و رتب أبوابه و فق مخارج الأصوات (الحروف) من الحلق على النحو الآتي: [ع ح ه خ غ /ق ك /ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي]

"كما كان للخليل إسهامه الصوتي في مجال النحو، و لكن آراءه و نظرياته في النحو إنما برزت مع تلميذه سيبويه (ت 180 ه) الذي جعل دراسة الصوت ووصف الأصوات مقدمة لدراسة الإدغام، و التعرف على ما يحسن فيه الإدغام، و ما لا يحسن فيه "[8].

و قد درس النحاة العرب مخارج الأصوات فتحددت عندهم بستة عشر مخرجا، و هو ما ذكره سيبويه و تابعه فيه النحاة من بعده، و كانت صفات الأصوات عند النحاة معيارا للتمييز بينها، لاسيما الأصوات التي تشترك في المخرج[9].

و هكذا أشغلت دراسة الظواهر الصوتية حيزا معتبرا عند النحاة، لأنها كانت مكملة لدراستهم للصفات، فعليها يقوم تفسير التغيرات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة، كما هو الحال في الإدغام و الإبدال و الإعلال و الإمالة و غيرها من الظواهر الصوتية التي درسوها، و بذلك استطاع النحاة أن

6
7
8
9

يوظفوا الدرس الصوتي في إطاره التركيبي للجملة، فدرسوا الأصوات في حيز التركيب بعد أن تناولوها من حيث هي وحدات صوتية مستقلة[10].

كما اهتم علماء التجويد بالأداء القرآني اهتماما كبيرا بالجانب الصوتي الذي يعد أساس علم التجويد، و ظهر ذلك في دراستهم لآلية التصويت و مخارج الأصوات وصفاتها، و كيفيات نطق الأصوات مفردة و مركبة، و قام وصف الأصوات عندهم على التفصيل في تناول الأصوات و اعتدوا بالمشافهة في توصيف نطق الأصوات، و استطاعوا بذلك أن يضبطوا الظواهر الصوتية بمعايير كمعيار الكمية، حيث عرف عندهم قصر المدّ و توسيطه و إشباعه، و كان منهم اهتمام خاص بالغنّة و ما يتصل به من نطق النون الساكنة و اختلاف أحكامها باختلاف الأصوات الواقعة بعدها[11].

و كان لبعض الفلاسفة المسلمين إسهام بارز في الدرس الصوتي، حيث كان اشتغال بعضهم بالموسيقى سببا في دراسة الأصوات و النغم و طرائق الأداء الصوتي، و كان اشتغال بعض منهم بالطّبّ سببا في الاهتمام بعيوب النطق كالكندي في رسالته عن (اللّثغة)، و ابن سينا في درسته عن (أسباب حدوث الحروف).

و قد كان توجههم في دراسة الأصوات طبيعيا (فزيائيا) ، و هذه ميزة للدرس الصوتي عند الفلاسفة، الذي يمكن وصفه بالدقة في أكثر مواضعه[12].

أما البلاغيون فقد اهتموا بالدورة الصوتية (التصويت و انتقال الصوت)، مركزين في تناولهم للجانب الصوتي على معايير الفصاحة و العيوب النطقية، و اتخذوا من نظرية مخارج الأصوات معيارا بلاغيا و نقديا لبيان فصاحة اللفظة. فكان التقارب المخرجي و التباعد هما الفيصل في تمييز الألفاظ الفصيحة من غيرها. و بناء على ذلك قسموا الأصوات و الكلام إلى متنافر و متلائم. و لكنهم لم يطرقوا بعض الظواهر الصوتية الناتجة عن اجتماع الأصوات نحو الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب[13].

10
11
12
13

أخيرا، نؤكد أن تصنيف العرب لأصوات العربية حسب ما نسميه الأن (طريقة النطق) " فهو ذلك التصنيف الذي يرجع إلى سيبويه، و الذي توضع الأصوات العربية على أساسه في ثلاث طبقات هي " الشديدة " و " الرخوة " و " ما بين الشديدة و الرخوة "و " الشديدة " في هذا التصنيف هي: الهمزة و القاف و الكاف و الجيم و الطاء و التاء و الدال و الباء. و " الرخوة "هي: الهاء و الحاء و الغين و الخاء و الشين و الصاد و الضاد، و الزاي و السين و الظاء و الثاء و الذال و الفاء. أما " ما بين الشديدة و الرخوة " فتضم الهمزة و اللام و الميم و الراء و الواو و الالف كألف (ما) [14].

إعداد و تقديم الأستاذ:

عبد الرحيم عزاب

قائمة مصادر الدرس و مراجعه:

1-في النحو العربي – نقد و توجيه- مهدي المخزومي.

2-التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: محمدو عكاشة.

3-اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي: أحمد محمد قدور.

4-في علم اللغة: غازي مختار طليمات.

5-دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن: صلاح حسنين.

6-مجلة دراسات، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، العدد السابع ديسمبر 2017 جامعة قسنطينة 2.

7-المدارس الصوتية عند العرب: علاء جبر محمد.

8-محاضرات في الصوتيات: مسعود بودوخة.

9-علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي-: محمود السعران.

14